دوْر الطريقة التجانيّة في الوسطيّة ونشْر الإسلام وتحقيق الأمن

بقلم
د. علي زيتونة مسعود
قسم اللغة العربية وآدابها ـ كلية الآداب واللغات ـ جامعة الوادي
zitouna2001@gmail.com

ملخص البحث

التجانية طريقة صوفية أصلها من الغرب الإسلامي، كان لها دوْر كبير في نشْر الإسلام وإرساء قواعد الوسطيّة ونبذ التطرّف . فقد انطلق مؤسّسُها من الجزائر ومُرِيدُوه منْ بعْده، رافعين رايةَ الإسْلام، ناشرين القيَمَ والأخلاق الرّفيعة، فنشرواَ الإسْلامَ في إفريقيا وغيرها، واعتنق الكثير الإسلام عن طريقهم، وانتشرت التجانية في مختلف الأوساط والجنْسيات،وأصْبح مُريدوها بمئات الملايين،وأسّسوا الزوايا والمعاهد الإسلامية والمساجد،وقاموا بأدوار دينيّة وعلميّة وإصلاحية، وساهَمَواْ في بناء الحضارة الإسلاميّة.

فقد بثّوا قيَمَ المحبّة والتّسامح والعفْو والتّعايش التي تجعل الفرد مطمئنّا، في مجتمع آمنٍ متطوّرٍ، وحذّروا من العنْف والظّلم والتّخاصم، ومنْ الفتنة والتشتّت، ونبذوا الفرقة والغلوّ، ودعوا إلى التماسك والنّفْع. فجسّدوا الوسطيّة في الواقع المعيش وأرْسوا قواعد الأمن والسّلم. فقدْ أزالت الطّريقةُ التّجانيّة التّفاوتَ الاجْتماعي والطّبقي، والاختلاف الجغرافي واللّغوي والعرقي واللّوني؛ حيث استطاعت أنْ تكونَ نقْطة الْتقائهم. فوثّقت الصّلات بين الشّعوب، وعزّزت الصّرْح المغاربيّ، ووطّدتْ امتداداته وعمْقه الإفريقي والأوروبي والعالمي، ووحّدتْ الأفكار والتّربية، واستطاعت بوسطيّتها وبمبادئها المعْتدلة تذْويبَ جميع كلّ هذه الفوارق . وقدْ أدّتْ دوْرها في فكّ الخصومات وإصلاح ذات البين ونشْر ثقافة الاحترام وقضاء الحوائج، وساهَمُوا في إخْماد نيران الفتن والقضاء على النّزاعات في أماكن مختلفة. حيث كان التجانيون رُسُلَ محبّةٍ وسلامٍ وإحْسانٍ . وإلى يوْمنا هذا أيضا لا يزال المريدُّون من تونس والمغرب ودول أفريقيا أوروبا وآسيا يتبادلون الزيارات بين الزاويا التّجانية؛ بفاس بالمغرب، وعين ماضي بالأغواط وتماسين بتُوقرت بالجزائر .

ومن ثم تتناول هذه المداخلة أسْباب انتشار الطريقة التّجانية ـ باعتبارها مغاربيّة ـ ودوْرها في نشْر الإسْلام في إفريقيا وبقيّة القارات، وفي إرساء قواعد الوسطيّة والاعتدال ونبْذ التّطرّف . كما تتناول دوْرها في تعْزيز النّسيج الاجْتماعي المغاربي والإفريقي والعالمي، وفي تحقيق السّلم والأمن .

المقدمة :

1 ـ التعريف بالموضوع وبيان أهميّته : إذا كان الشّرق يُعرف بكثرة الأنبياء والرّسل ـ كما يُقال ـ،فإنّ الغرب يُعرف بكثرة الأولياء والصالحين وانتشار الزوايا والطّرق الصوفيّة، حتى قيل أنّ أرض المغرب تُنْبِتُ الصالحين كما تنبت الكلأ[1]. وقد كان لهذه الطرق في الغرب الإسلامي دور كبير في نشْر الإسلام والوسطيّة وإرساء قواعدهما. فقد اعتنق الإسلامَ الملايينُ من غير المسلمين بمختلف جنسياتهم وأعراقهم ولغاتهم، وفي مختلف القارات على أيدي الصّوفيّة، وبثّ هؤلاء ثقافةَ المحبّة والتّسامح وقيمَ التفاهم والتعايش، والمواطنة والوسطيّة وغيرها بين الأفراد والمجتمعات .

ومن هذه الطرق الصوفيّة التجانيّة ؛ فقد اعتنقها مئات الملايين من مختلف بقاع المعمورة، فكان لها مريدون كثيرون وزوايا في إفريقيا وفي أوروبا الشرقية والغربية، وفي الولايات المتحدة الأمريكية، وفي المشرق العربي وآسيا، ولها معاهد إسلامية في تحفيظ القرآن الكريم وتعليم الدّين واللغة العربيّة وعلومها وغيرها، انطلاقا من المغرب العربي وبالذّات من الجزائر. ونتج عن هذا ظهورُ علماء في هذه الأماكن حملوا الأمانة وتحمّلوا أعباءها، ورفعوا راية رسالة الإسلام السمحة، ومبادئ التّصوف، ونشروا القيَمَ العالية والأخلاق السامية،والمبادئ الرفيعة، وأساسُهم في ذلك كلّه الوسطيّةُ، ومن ثمّ كان موضوع مداخلتي هو : دور الطريقة التّجانيّة في الوسطيّة ونشْر الإسلام وتحقيق الأمن .

وهو بحث خاصّ تمّ إعداده لهذا الملتقى الموقّر، وتكمن أهميّةُ موضوعِه في الدَّور الكبير الذي قامت به الطريقة التّجانية في تجسيد الوسطيّة في الواقع المعيش وتجلياتها، وإرساء قيمها وأسُسها . وكان من نتائج هذا الدّور أنْ نشرَتْ الإسلامَ في مختلف بقاع المعمورة، وأنْ انتشرت هي انتشارا واسعا في كلّ الأماكن ـ كما سبق ـ، وفي مختلف الأوساط والشرائح، فأصبح عددُ مريديها في العالم يُحصى بمئات الملايين، وعزّزت النسيج الاجتماعي المغاربي خاصّة، وحقّقت السّلم والأمن بمختلف أنواعهما . ولعلّ ما يؤكّد هذه الأهميّة، هو أنّ هذا الدّور لم يلقَ اهتماما، وهذا المجهود لم يُثمّن، بل كثيرا ما يُنكر من قبل الباحثين، رغم أنّ الوسطيّة في الإسلام نالت حظا وافرا من الدّراسة . فلم يأخذ موضوع الوسطيّة الصوفيّة ـ عموما ـ وأثرها في نشْر الإسلام في أوروبا وإفريقيا وغيرهما نصيبَه من البحث والدراسة، ما جعل الكثيرَ من الناس يجهلون هذا الدّور .

2 ـ الإشكاليّة : ممّا سبق تظهر الإشكاليّة من خلال التّساؤلات الآتية : ما هي ملامح الوسطيّة في الطريقة التجانية ؟ وكيف استطاعت إقناعَ مخاطبيها بمختلف مستوياتهم وجنسياتهم وأعراقهم ولغاتهم باعتناقها ؟ ومنْ ثمّ ما هي أسباب انتشارها في مختلف أنحاء المعمورة ؟ وما أثرها في نشْر الإسلام في بلدان إفريقيا وأوروبا وغيرهما ؟ وما دورها في تعزيز النّسيج الاجتماعي، وتحقيق السّلم والأمن ؟

3 ـ الدّراسات السابقة: رغم أنّ موضوع الوسطيّة في الإسلام ـ عموما ـ أخذ اهتمام الباحثين في العصر

[1]– ينظر : ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، تح: محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965، ص63.

الحديث وأُشبع بحثا، ورغم أنّ المؤلفات حول التّصوف ـ عموما ـ كثيرةٌ ؛ تعريفا وتاريخا وشرْعا وأعْلاما، إلّا أنّ الدّراسات حول دوْر الصوفيّة في الوسطيّة وفي نشْر الإسلام شحيحة . ومن المؤلفات التي تناولت هذا الموضوع التي أمكننا التّعرّف عليها :

- عبد الهادي البياض، تجليات المقاربة الوسطيّة في منهج التكافل الاجتماعي لمتصوفة مغرب العصر الوسيط، ضمن : التّصوف السنّي في تاريخ المغرب .
- سعيد بنحمادة، المجال الحيويّ للأولياء بالمغرب: الأدوار الدّينيّة والعسكريّة والاجتماعيّة، ضمن : التّصوّف السنّي في تاريخ المغرب .
- عزيز الإدريسي الكبيطي، التّصوّف الإسلامي في الغرب:الأثر الصّوفي المغربي في بريطانيا،الزاوية الحبيبية الدرقاويّة نموذجا.
- إبراهيم القادري بوتشيش، ثقافة الوسطيّة في التّصوف السنّي بالمغرب .
- أحمد الأزمي، الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي (ثلاثة أجزاء) .

إضافة إلى النّدوات والملتقيات الوطنيّة والدّوليّة الآتية :

- محاضرات الملتقى الدّولي الأوّل للإخوان التّجانيين، أيام: 23، 24، 25 نوفمبر 2006، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الأغواط، الجمهورية الجزائرية .
- محاضرات الملتقى الدّولي الثاني للطريقة التجانيّة: الخطاب الصوفي التجاني زمن العولمة، 06/05/04 نوفمبر2008، قمار، ولاية الوادي، الجزائر .
- أعمال الملتقى الوطني الأول حول : أمجاد الصوفيّة، دور الفكر الصوفي الوطني في نشر الثقافة العربية الإسلامية، من24 إلى 26 فيفري 2010، دار الثقافة ومديرية الثقافة لولاية عين تموشنت، الجزائر .

وقد تضمّن موضوعُ مداخلتي العناصر الآتية :

أولا : التعريف بمؤسّس الطريقة التّجانيّة .

ثانيا : أسباب انتشار الطريقة التّجانيّة .

ثالثا : ملامح الوسطيّة في الطريقة التّجانيّة .

رابعا : أثر الطريقة التّجانيّة في نشْر الإسلام .

خامسا: دورها في تعزيز النّسيج الاجتماعي وفي تحقيق السّلم .

أولا: التّعريف بمؤسّس الطريقة التجانية:

التّجانيّة طريقة صوفيّة سنيّة ظهرت في القرن الثاني عشر الهجري، (القرن الثامن عشر الميلادي) على يد الشيخ أبي العباس أحمد بن المختار التجاني المولود سنة 1150هـ/1737م بعين ماضي، ولاية الأغواط بالجزائر. نشأ في أسرة مشبّعة بالعلم والتصوف، حفظ القرآن الكريم وعمرُه سبع سنوات على يد الشيخ أبي

عبد الله محمد بن حمو، ودرس على أيدي علماء بلدته،منهم الشيخ المبروك بن أبي العافية الماضوي، كما درس على أيدي كبار علماء فاس كالشيخ الدّقاق، والشيخ السلجماسي. وعلماء مصر مثل السيد محمود الكردي، وعلماء الحجاز كالشيخ أحمد بن عبد الله الهندي في مكة، والشيخ السّمّان في المدينة المنورة، إلى أنْ تصدّر للتّدريس وأسّس طريقتَه . درَّس في الأبيض سيدي الشيخ وفي المسجد الكبير بتلمسان، وفي تونس . وفي سنة 1213هـ/1798م رحل إلى فاس مدينة العلم والعلماء، فبقي يُدرّس فيها ويُفتي ويربي، وقد أقبل عليه الناس من كلّ جهة يأخذون عنه العلم والتربية والوسطيّة، ويعتنقون طريقتَه التي بدأت في الانتشار شيئا فشيئا، إلى أنْ وافته المنيّة عام 1230هـ/ 1815م[2]. يقول عبد الباقي مفتاح: " بقي الشّيخ طول حياته معتنيا بتلاوة القرآن ويحثّ تلاميذه على ذلك كما كان يلوم من أهمل ذلك ... وكانت تردُ على الشّيخ أسئلة الاستفتاء من غرب الجزائر ومن المغرب الأقصى ومن الصّحراء، وقد رأيت في زاوية تغزوت بعض الرّسائل التي أجاب بها الشيخ عن أسئلة بُعثت إليه من سوف"[3].

وقد سار خليفتُه الشيخ الحاج علي التماسيني (1766 ـ 1844م)، وجميعُ شيوخ التجانية من بعده على نهجه، حيث درَسوا ودرّسوا وحثّوا وشجّعوا ودعّموا وأشرفوا بأنفسهم على كلّ ما يُسْهم في نشْر العلم والمعرفة ؛ فجلبوا العلماء، وخصّصوا أماكن لتعليم القرآن الكريم والحديث والسيرة والتّصوف وتدريس الفقه، واللغة العربية، وللمجالسات الأدبية والثقافيّة، وانتشر تلاميذهم في مختلف البقاع للدّعوة ونشر الإسلام والطريقة ومبادئ الوسطيّة، فكانت الزّوايا التّجانيّة في مختلف الأماكن والأزمان مراكزَ إشعاع دينيّة وعلميّة وثقافيّة وإصلاحيّة .

ثانيا : أسباب انتشار الطريقة التجانيّة :

بظهور الطريقة التّجانيّة سنة 1782م بدأت أعداد معتنقيها تتزايد، وأقبل الناس بمختلف مستوياتهم وطبقاتهم عليها، فاستطاعت إقناعَ مخاطبيها باعتناقها، إلى أنْ عمّت مشارق الأرض ومغاربها، وهي الآن من أكثر الطرق الصوفيّة انتشارا . ويمكن إيجاز أسباب هذا الانتشار في الآتي :

1 ـ مكانة الشّيخ العلميّة :

الشّيخ أحمد التجاني إمام كبير وعالم جليل مشهود له ؛ فكلّ الذين عاصروه وترجموا له بعد ذلك قديما وحديثا من العلماء ـ وهم كثيرون ـ نوّهوا به وبجّلوه واعترفوا له بالعلم والصلاح والمكانة، منها كتب : «سلوة الأنفاس في أعيان فاس» لمحمد بن جعفر الكتاني، «جامع كرامات الأولياء » ليوسف بن إسماعيل النبهاني، «حلية البشر في أعيان القرن الثالث عشر» لعبد الرزاق البيطار،«تاريخ الجزائر العام» للشيخ عبد الرحمان

---

[2] – ينظر: علي حرازم برادة الفاسي، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيّدي أبي العباس التجاني – رضي الله عنه – تح:محمد الراضي كنون، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ص 93 .

[3] – عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، الوليد للنشر، كوينين، الوادي، ص34 .

الجيلالي[4]، وغيرها من الكتب، وهم ليْسُوا من طريقته. فقَدْ عاش في فاس مدّة سبعة عشر عاما (من1213إلى وفاته 1230هـ)، وكانت فاس ـ آنذاك ـ مركزَ العلم والعلماء والصّلاح والصّالحين، وكان يُدرّس ويُفتي ويعظ ويرشد، فما لقي الشّيخ منْهم إلّا الاعتراف، خاصّة أنّ السلطان سليمان الذي احْتضنَه كان عالما تقيّا، له مجلس علْميّ يحْضُره كبار العلماء مثل: الفقيه العبّاس الشراييبي ومحمد أكنسوس والفقيه القاضي العباس بن كيران وغيرهم. وكانوا يناقشونه ويسألونه ويستمعون إليه، وأذْعنوا له، والكثير منْهم اعتنق طريقته[5]. وليس من السّهل أنْ تجد مكانَك ومكانتَك في فاس وبين علمائها في ذلك الوقت، ومن هؤلاء العلماء: العلامة القاضي بن شقرون (ت1219هـ)، محمد بن طاهر الهواري (ت1220هـ)، محمد بن عبد السلام الناصري (ت1239هـ) وغيرهم. يقول عبد الباقي مفتاح:"وقد رسخ الشّيخ في العلوم الشرعيّة والأدبيّة حتى أصبح مؤهّلا للتّدريس والإفتاء"[6]. فقد ظهرت الطريقة التجانية بالعلم، وقامت على العلم، وانتشرت بالعلم، وخلفاؤها علماء، وأوّل من اعتنقها هم العلماء، لذلك عُرِفتْ بـ« طريقة العلم والعلماء » .

2 ـ الوقوف على الحدود والبعْد عن الشّعوذة والدّجل: كان الشيخ التجاني شديدَ التمسّك بحدود الله، حريصا على تطبيقها، غير متسامح في ذلك، فكان ميزانه الشّرع، من أقواله:"زنوا كلامي بميزان الشّرع، فما وافق فاعملوا به، وما خالف فاتركوه"[7]. وفي شأن احتضان فاس وسلطانها سليمان للشيخ،يقول صاحب كتاب «الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي»:"فإننا نُرجّح أنّ احتضان هذا الأخير(يقصد السلطان سليمان) للتجانيّة وشيخها يرِد إلى مكانة الشيخ التجاني العلميّة التي أبهرت الجميع بحضور السلطان ومجلسه العلمي، وبسبب السنيّة التي صارت عليها تعاليم هذه الطريقة وحِرْص شيْخِها على زجْر كلّ مَنْ خالف روحها. وممّا شجّعنا على الدّفع بهذا الطّرْح مكانةُ المولى سليمان العلميّة ووَرَعُه وتقْواه"[8]. فالطريقة التجانيّة تنْفر من الشّعوذة والدّجل نفورا تامًّا، أساسُها الكتاب والسّنة والعلم والعمل، يقول عنها شيخها:" طريقتنا مبنيّة على الكتاب والسّنة ليس فيها دخل ولا غشّ ولا تلوّن، منْ أحدث فيها ما ليس منْها أفْقره الله وكشَفَ حاله "[9].

3 ـ عدم ارتباطها بمذْهب معيّن: لم يردْ عن الشّيخ التجاني أنّه دعا أصحابَه إلى الخروج من مذْهبهم، فهي

---

[4] – ينظر : عبد الرحمان طالب، الشيخ سيدي أحمد التجاني ومنهجياته في التفسير والفتوى والتربية، إنجاز الجاحظية، الجزائر، 1999، ص43.

[5] – أحمد الأزمي، الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، د ط، 2000، 1 / 153 .

[6] – المرجع نفسه، ص53 .

[7] – محمد بن عبد الواحد النظيفي، الدّرّة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة، دار الفكر، د ط، د ت، الجزء الأوّل، ص 115 .

[8] – محمد الأزمي، الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 2000، 3/ 569.

[9] – النظيفي، الدرة الخريدة، المجلد:1، الجزء الأوّل، ص 115 .

تجمع أفراد الأمّة من غير تعصّب لمذهب معيّن غير الالتزام بالشّرع داعيةً إلى الوحدة[10]. "فهي منْهج تربوي؛ قولي وعملي يهتمّ بتربية الإنسان من حيث روحه وعقله وجسمه "[11]، ويظنّ الخيرَ بكلّ المسلمين، ويقبل كلَّ مسْلمٍ أقبل عليه .

4 ـ التّفاعل الإيجابيّ والتّماشي مع روح العصر: بناءً على وصايا الشّيخ وخلفائه، تميّز التجانيون بالتّفاعل الإيجابي مع مَنْ يعيشون ؛ حيث لم يركنوا إلى الجمود والانعزال للعبادة، بل ابتغَوا الدارَ الآخرة، ولم ينْسَوا نصيبَهم من الدنيا، فاندمجوا مع مجتمعاتهم وتفانوا في خدمتها، وسعوا إلى نفْعها وإفادتها بما يرجع عليها بالخير في الدنيا والآخرة ." فالتربية في هذه الطريقة خالية من التزام الخلوة والاعتزال عن الناس ونحو ذلك مما فيه تشديد عن النفس وتضييق"[12]، فكانوا عناصر فعّالة ؛ خادمين، ناصحين، مصْلحين، آخذين بعلوم عصْرهم وبكلّ ما يتطلّبه ... ونشروا الإسلام وقاوموا الاستعمار، انفتحوا على الواقع وتماشوا مع روح عصر، فقد كان الشّيخ يقول: « بِسَيْر زمانِك سِرْ » . لذلك فالزّوايا التّجانيّة اليوم لا تقتصر على تحفيظ القرآن الكريم،بل تهتمّ بكلّ ما يتطلّبه العصر من علوم شرعيّة وعصريّة ومحاضرات، وندوات وملتقيات وأيّام دراسيّة، ودورات في التحفيظ العصري لمعلّمي القرآن الكريم، وفي التنمية البشريّة، وتهتمّ بالفنون كالموسيقى والنّشيد (السماع الصوفي) وغيرهما، كما أنّها تهتمّ بالوسائل الحديثة التي تمكّن المريد من مواكبة عصره .

5 ـ سهولةُ أورادِها ويُسْرُ منْهجِها: للتّجانية أورادٌ سهلة ميسورة لا تتطلّب جهْدا كبيرا ولا وقتا طويلا، أساسُها الاستغفار والصّلاة على النّبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والكلمة المشرّفة لا إله إلا الله، وهي أوراد ليست خاصّة، بل تُعْطى لكلّ مسلم يَطلبها، مع بعض الشّروط كالمحافظة على الصّلاة في جماعة قدر الإمكان، والمحافظة على سائر الأمور الشرعيّة،وبرّ الوالديْن، وعدم مقاطعة الخلق، وعدْم أمْن مكْر الله ...[13] كلّ هذا دون خلوة، ودون تشدّد أو تعقيد في المفاهيم .

6 ـ الهيْكلة وإنشاء الزوايا: اتّبع الشّيخ أحمد التّجاني منهجيّة تضْمن له انتشار طريقته واستمرار تعاليمها، فبدأ باختيار الرجال الأكفاء، وبتأسيس الزّوايا؛ حيث يختار مِنَ الوافدين عليه، ذوي العلْمِ والتّقوى والصّلاح والكفاءة فيُجيزهم، ويُعَيِّنهم خُلفاءَ عنه في مناطقهم، وهؤلاء بِدوْرهم يُعَيِّنون مُقَدّمين مساعِدين لهمْ في بَلْداتهم وقُراهم المجاورة ... ويكلّفهم ببناء مكانٍ يجْمَعُهم للذّكر واللّقاء والدّعْوة والإصْلاح والمناسبات المختلفة وغيرها . ففي شأن محمد الحافظ الشنقيطي (ت 1838) الذي نشَر الطريقة التّجانيّة في شنقيط وما وراء نهر السّنغال يقول أحمد الأزمي: "لم يخِبْ إذَنْ ظنّ سيّدي أحمد التجاني، عندما عيّن محمد الحافظ نائبا عنه في أصقاع

[10] – ينظر : عبد المجيد الدالي، دور رجال الطريقة التجانية في عصر العولمة، محاضرات الملتقى الدولي الثاني للطريقة التجانية : الخطاب الصوفي التجاني زمن العولمة، 06/05/04 نوفمبر2008، قمار، ولاية الوادي، الجزائر، ص 14.

[11] – ينظر : عبد الرحمان طالب، الشيخ سيدي أحمد التجاني ومنهجياته في التفسير والفتوى والتربية، ص56.

[12] – عبد المجيد الدالي، دور رجال الطريقة التجانية في عصر العولمة، محاضرات الملتقى الدولي الثاني للطريقة التجانية، ص 11.

[13] – ينظر : محمد الحافظ التجاني، قصر السبيل في الطريقة التجانية، طبع الجاحظية، الجزائر، إنجاز جمعية المعارف الثقافية، الوادي، ص 14.

الصّحراء، لِمَا قرأه فيه من الهِمّةِ وعَلاماتِ الفَتْح، وتَمَكُّنٍ من الشّريعة التي تُعتبر سلاحا فعّالا لكلّ ذِي شأْن خطير في حقْل الدّعوة إلى الله، سيما وبلادُ شنقيط كانت تطْفَح آنذاك بفطاحلة العلماء المسلمين، عموما، والقادريين منْهم على الخصوص، إذْ تتجلّى أهميّة التّمكّن من علْم الشّريعة الإسلاميّة، في قَدْرة العالم الدّاعية على الإقناع والإفحام، ولمّا كانت هذه الشّروط تتوفّر في محمد الحافظ فقَدْ تحقّق له من النّجاح في مهمّته ... من انْتشار سريع وشامل لتعاليم الطّريقة بالمنطقة التي ينتمي إليها، وخارجها من جهات مترامية الأطراف . غير أنّ هذا الإشعاع ما كان ليتحقّق أيضا لوْ لمْ يُعيّن محمد الحافظ مقدّمين توكّل إليْهم مهمّة التّعريف بأذكار الطريقة، وإعطاء أورادها لمنْ يرغب في ذلك، خصوصا بالنّسبة للمناطق البعيدة عنه"[14] . كما أنّ من ثمرات زيارات بعض أعيان قمار إلى الشّيخ في بداية عهْد الطريقة، أن أمَر السّيدَ محمد السّاسي القماري ببناء زاوية، فكانت أوّلَ زاوية تجانيّة في العالم سنة 1789م في قمار.

وهو المنهج نفسُه الذي سار عليه خلفاؤه من بعده إلى اليوم ؛ حيث أرسل الشّيخ الحاج علي التّماسيني الطاهرَ بن عبد الصادق القماري (ت1850) نائبا عنه في منطقة الجريد بتونس إلى أنْ توفي هناك، وضريحه في مدينة توزر بجانب مسجده المعروف به .

وفي حوالي سنة 1875م أرسل الشّيخُ محمد العيد الأوّل التماسيني بنسالم بن يامّة إلى منطقة البياضة بالوادي، فاستقرّ هناك بعد تأسيس الزاوية والمسجد؛إماما ومرشدا. ولا تزال الزاوية إلى اليوم مركزا إشعاعيّا، تقوم بدورها الإصلاحي والتربوي[15].

وهكذا يكون لكلّ منطقة نائب يقوم مقامَ شيخِه في الدّعوة والوعظ والإرشاد وإصلاح ذات البين وتلقين الأوراد وغيرها، ويكون في كلّ منطقة زاوية يلتقي فيها المريدون يتدارسون شؤونَهم الدينيّة والدّنيويّة . وهو ما نجده ـ أيضا ـ في السنوات الأخيرة، حيث أسّس المريدون الكثيرَ من الزّوايا في مناطق وجودهم في مختلف المدن الجزائريّة مثل الجزائر العاصمة، عنابة، البليدة، المسيلة، باتنة، إليزي، عين تموشنت ... إضافة إلى الزوايا القديمة في تبسة وبسكرة وعين البيضاء بأمّ البواقي ووهران ورأس الماء بسيّدي بالعباس وتلمسان وغيرها .

ثالثا: ملامح الوسطيّة في الطريقة التّجانيّة :

التّصوّف هو القسم الثالث من أقسام الدّين الإسلامي ؛ الإسلام، الإيمان، الإحسان . هذا الأخير يسمّى أيضا الأخلاق أو تزكية النفس، وهو « أنْ تعبد الله كأنك تراه. فإن لم تكن تراه، فإنه يراك »[16]. وإنّ أسْمَى ما في الدّين هو الآداب والأخلاق، لذلك فقدْ كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : «إِنَّ خِيَارَكم أَحْسَنُكُمْ

[14] – محمد الأزمي، الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 2000، 1 / 473.

[15] – ينظر: السعيد ديدي، علم سوف الشيخ احمد التجاني، د ط، د ت، ص4 .

[16] – صحيح مسلم، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991، 1/ 37 .

أَخْلَاقًا»[17]. وهو الجانب الذي اهتمّ به الصوفيّة، وأساسُهم في ذلك مراقبةُ الله في حركاتهم وسكناتهم، وشعارُهم: " فمَتَى غابَ حتَّى يُسْتَدَلّ عليْه، ومتّى بَعُد حتىّ تكون الآثارُ هيَ الموصِلَة إليْه"[18].

فغاية التّصوّف هي الترقّي الأخلاقي وتهذيب النّفس وتصْفِيَتُها منْ كلّ ما يُشينها، من خلال التّخلّي عن الصّفات الذّميمة والتّحلّي بالصّفات الحسنة . فالشّيخ المربّي يهتمّ بأمراض القلوب مِنْ حسَد وتكبّر وظلْم وغشّ ونميمة وانتقام وكذب ونفاق ورياء وأنانية وحبّ الدّنيا وغيرها . وهي أمراض تُهلِك صاحبَها وتقْضي على المجتمعات، لذلك يحاول الصوفيّة علاجَها عن طريق التربية .

وانطلاقا من قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[19]. وقوْلِه أيضا: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[20]، ومن القرآن الكريم عامّة، ومن الأحاديث النبويّة الشّريفة الكثيرة التي " رسمت منهج الوسطيّة للمسلمين في العبادة، والحثّ على الاقتصاد والاعتدال فيها والنّهي عن التّعمق والتّشدّد، والاقتصاد على ما يُطاق من العبادة، والابتعاد عن تكلّف ما لا يُطاق "[21]. وانطلاقا ـ أيضا ـ من أقوال الخلفاء الراشدين والصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وسِيَرِهم ... منْ هذا كلّه حدّدت الطريقة التّجانية معالمها الدّينيّة ومنْهجها في الحياة، ورسمت وسطيّتها، فالوسطيّة والاعتدال سمة التّصوف، كما هي سمة الإسلام .

فقدْ اهتمّ الشّيخ التجاني بالتربية الروحيّة التي تجعل الفردَ متحلّيا بكلّ الصفات الفاضلة، متخلّيا عن كلّ الصفات الدّنيئة، وذلك عن طريق إظهار عيوب النّفس، والسّعي إلى مرضاة الله والاعتماد على فضل الله ورحمته، والتّسليم لله، والتوبة والتّذكير بنِعَم الله والدّعوة إلى شكْرها، والأكْل الحلال. كما اعتمد على الوصايا والتّحذيرات الكثيرة عن طريق الأمر والنّهي والتّرغيب والتّرهيب والتّخويف والتّبشير، وشملت هذه الوصايا العباداتِ والمعاملات والآداب العامّة مع الله ومع خلْقه[22].حيث دعا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والتّيسير والرّفق والتّرغيب، وحذّر من العُنف والغُلوّ والفتن والصّراعات وأذى الآخرين، ونادى بقِيَم

---

[17] – البخاري، الجامع الصحيح، شرح وتصحيح وتحقيق:محب الدين الخطيب، ترقيم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية، القاهرة، ط1، 1400ه، المجلد الرابع، ص97، حديث رقم: 6035 .

[18] – تاج الدين أحمد بن عطاء الله السكندري، الحكم العطائية، تح : رمضان محمد بن علي البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2008، ص51 .

[19] – البقرة : 143 .

[20] – القصص: 77 .

[21] – عَلي مُحَّمد الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم، مكتبة الصحابة، الشارقة، الإمارات، مكتبة التابعين، القاهرة، مصر، ط1، 2001 م، ص 563 .

[22] – ينظر: عبد الرحمان طالب، الشيخ سيدي أحمد التجاني ومنهجياته في التفسير والفتوى والتربية، ص10 .

الاعْتدال والوحدة والإصْلاح،وحثّ على التّعمير والتّفاعل الإيجابي وخدْمة البلاد والعباد[23]. فكان خطاب شيوخ الطريقة التجانيّة جميعا وسَطيًّا بطبْعه؛ ليّنا، بعيدا عن التطرّف، معْتدلا، متسامحا، يؤمن بالانفتاح والتّعايش مع الآخرين مهْما كانوا ؛ فلا يُنكرهم ولا يُقصيهم ولا يؤذيهم، وإنْ بدَر منْهم أذًى . وهي قيم نادى بها الإسلام وحثّ عليها، وهي أيضا أساسُ بناء المجتمعات، وقيام الحضارات، وتقدّم الأُمَم. يقول أحدهم: " التّصوّف نشَأ للبناء والتّعمير، وجاء لِنَشْر أنْوار الإسْلام وبركات الإيمان، وله دوْر فعاّل ورائع وخالد في حمْل راية الدّعوة الإسلاميّة وتبليغ الرّسالة المحمديّة "[24].

رغم أنّ مُعارضيهم تفنّنوا في شتْمهم وتكفيرهم، وألّفت مئات الكتُب والمقالات والمطويّات، وأُسِّست الفضائيات، وجُنّدت الصّحُف والمجلّات لهذا الشأن . والغريب أنّ هذا الأذى وهذه الشّتائم تصْدر في الغالب منْ علماء ودعاة ومتصدّري المنابر... لكنّهم لمْ يقابلوهم بصنيعهم إلّا ببعض الرّدود العلميّة إنْ اقتضى الأمر، وبالرّفق والحرص على سلامة الإسلام ووحدة المسلمين. يقول علّامة التجانية أحمد سُكَيرج رادّا على الحملة على التصوّف والتّجانية، مخاطبًا أصحابَها :" فهلْ لكُم يا قومنا في إجابة داعي الحقّ في النظر في إرشاد كلّ واحد منّا أحبابه بين الخلق إلى الاشتغال بالنّافع دنْيا وأخْرى، وتعليم الجاهل وتذكير العالم حتّى تصلح حالنا ممّا نحن فيه من التّعصّب الدّيني، والدّين لا تَعَصّب فيه، وإلى التّواصي بالحقّ، والتّواصي بالصّبر، فنكون ممّن صلح وأصلح، وسعى فنجح، واتّجَر فربح وأفلح، فما لنا في الانتقادات من خير، لما نجْنيه منها من ثمرات الحقْد، وتشتيت كلمتنا في القرْب والبُعْد، ولا أقبح من تضليل المؤمن وتكفيره، ولا أحسن من تطمين نفسه وتبشيره، فهَلُمّوا بنا ـ رعاكم الله ـ إلى عقْد جمعيّة ترقع خرق ثوب الإسلام قبل اتّساعه، وتبرم حبل الحبّ بين المسلمين قبل انقطاعه، فإنّي أدْعوكم بداعية الرّفق بأنفسكم بين أهله، وأحذّركم من العنف في شَدِّهِ وحَلِّه "[25].

لقد بحث الصّوفيّة عنْ عيوبهم وبرّروا عيوبَ غيرهم، وغيرُهم بحثوا عنْ عيوب الصّوفيّة ونَسُوا عُيوبَهم. ولعلّ هذا كلّه يبيّن قيمة التربية الروحيّة، ويُبيّن الفرْقَ الشّاسع بين مَنْ تلقّى تربية روحيّة ومَنْ لمْ يتَلقّ ؛ لأنّ العلْم لا يرفَع عن صاحبه إلّا الجهل، أمّا أمراض القلوب فلا تُرفع إلا عن طريق هذه التربية، وهو ما يقوم به التّصوف والشّيخ المربّي . فكمْ منْ عالم أو داعية يُشار إليه بالبنان، لكنه متكبّر أو أناني أو نمّام أو مُراء ...

وبقدْر حرْص الصوفيّة على تطبيق تعاليم الدّين والتزام حدود الشّرع، إلا أنهم لم يشدّدوا على النّاس، بل يعتمدون التّدرج في التربية،والترقّي به شيئا فشيئا في درجات النّفس، ويتعاملون معَهُم بطُرُق مختلفة وأساليب متباينة برفْق ولين للوصول بهم إلى ربهم، مقْتَدِين في ذلك برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، لأنّ نيّاتِ العبادِ وأعمالهَم وأقوالهَم وأحوالهَم تختلف من شخْص لآخر.

---

[23] – ينظر: علي حرازم برادة، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيّدي أبي العباس التجاني – رضي الله عنه –، ص639 وما بعدها (فصل في رسائله) .

[24] – سيد نور بن سيد علي، التصوف الشرعي الذي يجهله كثير من مدعّيه ومنتقديه، دار الكتب العلمية، ط1، 2000، ص 52 .

[25] – أحمد بن العياشي السكيرج، سبيل الرشاد في المحاورة بين ذوي الانتقاد والاعتقاد، المطبعة الجديدة بفاس، 1358ه، ص3 .

ولقد جسّد خلفاء الطريقة التّجانية لمريديهم ولغيرهم هذه التربية وهذه القيم، وجعلوها واقعا معيشا، فرحّب الناس بالإسلام وبتعاليمه وأحكامه وسماحته، وبالتجانيّة وسهولة مبادئها، حتى غير المسلمين منهم، لأنّهم وجدوا فيها الملاذ الآمن والفطرة الصافية، فاعتنقوهما عن رغبة واقتناع. يقول أحدهم:" إنّ التّصوّف المغربي عندما اختار التّصوّف السنيّ الداعي إلى الاعتدال في تحلية السلوك، لم يكن ساذجا في اختياره، ولا بسيطا في فكره غير قادر على الخوض في القضايا الفلسفيّة، بل كان مجاهدا لنفسه، مهتمًّا بالرقائق اقتداء بأثر السلف الصالح "[26].

إضافة إلى ذلك، فإنّ أهمّ قِيَمِ الوسطيّة التي تقوم عليها التّجانيّة هي :

1 ـ المحبّة: المحبّة أساسُ التّصوّف؛ أنْ يحبّ المريدُ الله ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شيخَه ومقدّمَه وإخوانَه وكلّ المسلمين وكلّ الناس... فمِنْ منطلق قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[27]، ومن قلوب تطفح بالمحبّة التي يكتمل بها إيمان المؤمن ومن التّعاليم السّامية، اقتبس السّادة الصّوفيّة سيَرهم وسلوكَهم. ونسبة إلى المحبّة في الله، الشاملة لكلّ من شهد لله بالوحدانيّة ولرسوله بالبلاغ، سمّى الشّيخُ التجاني أصحابَه الأحباب[28]. ومتى امتلأ القلبُ بالمحبّة، فلا يمكن أنْ يَصدُر عنه ما يُنافيها.

2 ـ التعايش : كلّ وصايا الشّيخ أحمد التّجاني في رسائله وخطاباته تدور حول قيم التعايش التي تضمن الفرْدَ الآمن في المجتمع الموحّد، ومن هذه الوصايا : عدم تحريك الشّر على النّاس ولوْ كان تمنّيا بالقلب، الغفلة عنْ شرّهمّ، مقابلةُ شّر الناس وإساءتهم بالإحْسان، الصّفْح والعفْو عنْهم وقبولُ العذْر، الصبر على أذاهم، الدّفاع بالتي هي أحسن بلين ورفْق وإنْ اشتعلت عليك نيران شرّ الناس، الإكثار من التضرّع إلى الله، والمداومة في رفْع الشرّ، عدَمُ البحْث عن عورات المسلمين، مخالفة الهوى باتّباع الحقّ واجتناب الباطل، معاملةُ النّاسِ لله والإحسانُ إلى خلقه وغيرها [29]. وهو ما يُظهر حرْصَ الشيخ الشديد على إطفاء الفتن ودفْن الشّرور بمختلِف أنواعها، وإرساء أسباب الأمن والسلام، من خلال الإلحاح والتأكيد على تطبيق هذه الوصايا، والتّشديد على منْ يحاول تجاوُزَها . كما يظهر حِرْصه على نشْر ثقافة المحبّة والتّسامح والعفْو وعدم الإيذاء والأخوّة والتعاون ... إلى غير ذلك من القيم الفاضلة التي ترْسي الوسطيّة والاعتدال . وحرْصه أيضا على ربْط المسْلم بالله في كلّ أموره، وفي كلّ موْضع يوجد فيه، حتى يتجنّب كلّ ما يُغضبه، فما أحوج مجتمعاتنا اليوم إلى كلّ هذا !

3 ـ لا عدوّ للتجانيّة غير الشيطان: بناء على أنّ المحبّة أساس التّصوف، وأنها شاملة لكلّ الناس، دون تمييز

---

[26] – إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين: الذهنيات، الأولياء، المجتمع، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1993، ص130.

[27] – الحجرات : 10.

[28] ينظر: كلمة سيدي حميدة باسم الشيخ الدكتور سيدي محمد العيد في رحلته إلى منطقة تيميمون بولاية أدرار، الجزائر يوم : 06 ماي 2002، مطبوعات جمعيّة المعارف. تغزوت، الوادي، الجزائر .

[29] ينظر : علي حرازم برادة، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيّدي أبي العباس التجاني – رضي الله عنه –، ص639 .

أو انحياز، فكلّهم سواسية، فإنّه لا عدوّ للتجانية؛ فقد كان شيوخُها يردّدون دائما بأنّه " لا عدوّ لنا إلا الشيطان"، الذي أمرنا الله بمعاداته . فهي متسامحة مع الجميع، فلا تعادي أحدا أو اتّجاها، وإنْ صدَر منهم ما يثير ـ كما سبق ـ . فالطريقة التّجانيّة " تدعو إلى المحافظة على مصالح الشعوب وتماسكها، وترفض كلّ ما من شأنه أنْ يؤدّي إلى إحداث الفتن والصّراعات"[30]، وتدعو أتباعَها ومُريديها إلى عدم إيذاء الآخرين والمساهمة في القضاء على أسباب التناحر والتشاحن، وإلى نبذ العنْف .

رابعا: أثر الطريقة التّجانيّة في نشر الإسلام:

حمل شيوخ الطريقة التجانية وتلاميذُهم على أنْفسهم الدّعوة إلى الله ونشْر الإسلام وطريقتهم، معتمدين على الله ـ عز وجلّ ـ وإخْلاصهم وإيمانهم بمعتقداتهم ومبادئهم، وعلى إرادتهم، غير مُبالين بالصّعاب، مضحّين بأنفسهم وأموالهم في سبيل أهدافهم . فلم يكونوا مبعوثين رسميين أو مكلّفين بأجر، فهُمْ يعتبرون أنفسَهم مسؤولين عن هذه الدّعوة، وهي من واجباتهم الدّينية، وأساسهم في ذلك كلّه العلم والتربية .

من ذلك فقدْ جلَبوا ا العلماءَ إلى الزوايا بتماسين وقمار[31] للتّدريس في مختلف الأزمان ؛ ففي الفترة (1844ـ 1892) نذكر: الأخضر بن حمانه القماري، أحمد دغمان القماري، الشيخ النفطي التونسي، الشيخ السعيد الدوكالي المغربي ... وفي الفترة (1893ـ 1912) نذكر: المكي بن عزوز، والشيخ السنوسي التونسي... وفي الفترة (1918ـ 1927) الشيخ محمد بن عماره التوزري، الشيخ اللقاني الطيباتي، الشيخ مناشو التونسي، الشيخ محمد الجديدي السوفي ... وعن خدمة خلفاء الطريقة التجانية للإسلام والعلم يقول محمد ابن السمينة: "... من أمثال الشّيخ محمد العيد بن الشيخ البشير الذي كان على رأس زاوية تماسين في العقد الثاني من هذا القرن، وكان يفيض غيرة على الإسلام والمسلمين، محبّا للعلم والعلماء، ناشرا للمفهوم الصحيح للإسلام مبْغضا للبدع والأهواء "[32].

ونتيجة لذلك أنجبت الطريقة التجانية، وفي مختلف الأزمنة والأمكنة العديد من العلماء الأعلام الذين خدموا الدين والأوطان، نذكر منهم[33] في المغرب الأقصى: الحاج أحمد سُكَيْرج (1841.1944م) وهو متبحّر في العلوم الشرعية والأدبية، بلغت تآليفه أزيد من 150 كتابا. محمد الحجوجي(1880. 1950م) صاحب الكفاءة والمهارة في التربية والتعليم، درّس بزوايا ومساجد كثيرة في المغرب . له مؤلفات عديدة في التصوف، والتفسير، والحديث، وغيرها . وفي الجزائر نذكر الشيخ العلاّمة المجاهد الفقيه المفتي المجتهد المحدّث الأديب

---

[30] – السعيد بسي، الانتشار العالمي للطريقة التجانية وثمرة جهودها في التربية الروحية والاجتماعية، محاضرات الملتقى الدولي للإخوان التجانيين، أيام: 23، 24، 25 نوفمبر 2006، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الأغواط، الجمهورية الجزائرية .

[31] ينظر: الزاوية التجانية بين الأمس واليوم، مطبعة SIB، كوينين، الوادي، الجزائر، ط3، 1429، 2008، ص9 ما بعدها .

[32] – محمد ابن السمينة، محمد العيد آل خليفة، دراسة تحليلية لحياته، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 16 .

[33] – ينظر: عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه . محمد الحجوجي، إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية .
أحمد الأزمي، الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن19 الميلادي .

ومقدّم الطريقة بالعاصمة الشيخ عبد الحليم بن سماية (1866. 1933م). نزل بداره الإمامُ محمد عبده عند زيارته للجزائر سنة 1903، وكان مرافقا له، وقد أعجب محمد عبده به . له مؤلفات في الفقه والتّصوف، وعدّة مقالات كتبها في الصحافة. علّم الشيخ بن سماية جيلا من الطلاب في المدرسة الثعالبيّة، ووقف ضدّ التجنيد، واشتهر بكُرْهه الشّديد للفرنسيين[34]. كما نذكر العلّامة والمؤرّخ، ومقدّم التّجانية بقسنطينة محمود بن محمد المطماطية (1881 ـ 1952م) . فقَدْ عدّ مؤلفاتِه 143 تأليفا في رسالة له سمّاها " مرقاة الشّرف الجميل في التحدّث بفضل الله الجليل " ذيّل بها كتابه " غرائب البراهين في مناقب صاحب تماسين". ومنهم الشيخ حمدان الونيسي مقدّم التجانية بقسنطينة وأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس، هاجر إلى المدينة المنوّرة، وتوفي بها سنة 1920م .ومنهم أيضا: شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، وهو غني عن كل تعريف[35]. ومن الجزائريين أيضا نذكر أحد رجال الفكر ورواد الصّحافة الوطنيّة عمر بن قدور (1886ـ 1932م) صاحب جريدة الفاروق، وكان شعارها (قلمي لسان ثلاثة بفؤادي: ديني ووجداني وحب بلادي). اعتقلته السّلطات الفرنسيّة ونفتْه إلى الأغواط . من أقواله :" ليس سلوك طريقة التّصوف بواجب على كلّ مسلم، وإنّما هو ضروري لكلّ مؤمن يخشى هوْل المعاد. ولذا أُبْتلِيَت هذه الطائفة بأنْ تكون سخرية بين العباد، وأوذيت كما أوذي صفْوة الخلق من النبيئين والمرسلين حتى يوافيهم الحقّ وهم به قائمون"[36]. ومنْ علماء تونس شيخ الزيتونه إبراهيم الرياحي (1767 ـ 1850م)، الملقّب بسلطان العلماء تشبيها له بالعزّ بن عبد السلام . هو أوّل من جمع بين رئاسة المذهب المالكي بتونس وإمامة جامع الزيتونة . نشر الطريقة التجانيّة في تونس، وخاصّة في أوساط العلماء الحكام، وأسّس لها زاوية بالعاصمة التونسيّة في النهج الذي أصبح يحمل اسمه إلى يومنا هذا (نهج سيدي إبراهيم الرّياحي)[37]. فقدْ كوّنت الطريقة التجانية علماء أعلاما بلغوا مبلغا كبيرا في النّضج العلمي والثقافة الإسلامية والفكر، ألّفوا في المجالات العربيّة والإسلامية المختلفة، وأنشأ الكثيرُ منْهم المعاهد العلميّة والمساجد والزّوايا يدرّسون عشاقَ العلم بصرف النظر عن جنسياتهم وألوانهم وطبقاتهم دون مقابل، بل كانوا ينتقلون إلى البلدان والمناطق البعيدة، ويتغلغلون في المدن والقرى يعقدون المجالس داعين ومُرْشِدين، وأدخلوا الآلاف من الكفار إلى الإسلام[38]. فكان لهم جميعا دوْرٌ كبير في الدّعوة ونشْر الإسلام والطريقة التّجانيّة والثقافة العربية الإسلامية والعلم والمعرفة والوعْي والفكر الراقي في مختلف البقاع .

---

[34] – ينظر : أبو بكر بن أحمد بوسام المالكي، إنباء الخلف برجال السلف، دار المعرفة، باب الوادي، الجزائر، د ط، د ت، ص 53 .

[35] – ينظر: محمد ابن السمينة، محمد العيد آل خليفة، دراسة تحليلية لحياته . علي غريسي، شاعر الجزائر محمد العيد التجاني، وثائق لم تنشر من قبل (الجزء1)، مجلة الجوهرة، تصدر عن المجمّع الثقافي للزاوية التجانية، العدد: 3، الثلاثي الثاني 2010، ص 8 .

[36] – عمر بن قدور، سائق السعادة، جمعية المعارف الثقافية، تغزوت، الوادي، 1423، ص 2 .

[37] – ينظر: ديوان الشيخ إبراهيم الرياحي، تحقيق محمد اليعلاوي، وحمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990، ص5 . عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، ص149.

[38] – ينظر : موسى عبد السلام أبيكن، الطريقة التجانية ودورها في نشر الثقافة العربية الإسلامية في نيجيريا، مجلة حوليات التراث الإلكترونية، جامعة مستغانم، الجزائر، ردمك 5020 – 1112، العدد:14، السنة:2014، ص 33 .

ومنْهم أيضا الحاج عمر بن سعيد الفوتي (1796ـ 1864) الذي جمَع بين العلم والجهاد؛ حيث قاد حروبا ضدّ الوثنيين والمسيحيين وضدّ الاستعمار الفرنسي في السينغال والبلدان المجاورة، ودخل على يده وأيدي أتباعه ملايين من الناس إلى الإسلام والطريقة التجانية، وفتح عدّة مدارس للتعليم تخرّج منها أئمّة وعلماء، وألّف عدّة كتب. فالحاج عمر من الذين نجحوا في إرساء أسُس العقيدة على أساس صحيح، ومازالت شعوب غرب إفريقيا الإسلامية تدين له . وهو من أبرز الذين ساهموا بشكل فعّال في مقاومة التوسّع الأوروبي[39]. والشّيخ إبراهيم أنياس(ت1975م) الذي ساهم في الدّعوة الإسلامية ووقف أمام التيارات المعادية الإسلام، وأسلم على يده خلق كثير، وأسّس معهدا إسلاميّا على النمط العصري في السينغال. كان نائبا لرئيس مؤتمر العالم الإسلامي بكراتشي، وعضوا في كل من رابطة العالم الإسلامي بمكة،وجمعية الجامعات الإسلامية بالرباط، لقّبه علماء الأزهر بشيخ الإسلام، وطلبوا منه أنْ يؤمّ صلاة الجمعة في الأزهر. ومنهم محمد الحافظ التجاني المصري (1897ـ 1978) وهو متخصّص في علوم الحديث، قضى حياته في خدمة الدين والعلم والإرشاد ونشر الطريقة التجانية خصوصا في الأوساط المثقفة بمصر وتركيا وإفريقيا السوداء، حيث تتلْمذ على يده جماعات من الأساتذة ومديري المعاهد والجامعات والكتاب وفي مختلف المجالات. أسّس مجموعة من المجلات الإسلامية أشهرها(طريق الحق). ترك مئات من الرسائل والمقالات والبحوث والكثير من الكتب .

فقدْ كان ولا يزال" للطريقة التّجانية دوْر كبير في نشْر الإسلام في بلاد السّودان والسّنغال والكونغو وغينيا والصّحراء الكبرى ومصر "[40]،وغيرها من مناطق إفريقيا، حتى أنّ هذه الأخيرة " كادت أنْ تكون مسلمة لولا قضاء فرنسا على سلطة التّجانية، كما أنّ أوروبا كادت أنْ تكون مسْلمة لولا انتصار مارتيل على المسلمين في موقعة بواتي" [41].

وقد استمرّت المسيرة جيلا بعد جيلا ؛ ففي سنة 1948 قام السيد الحاج بن عمر التجاني الجزائري حفيد الشيخ أحمد التجاني برحلة واسعة وشاقّة لمواصلة نشْر الإسلام إلى أربع عشرة دولة إفريقية استغرقت ثلاث سنوات، اتّصل فيها بجنسيات متعدّدة، وعقائد مختلفة، وألسن متباينة، وأفكار متباعدة . وقد أسلم على يده مئات الآلاف من الوثنيين والملوك والعلماء وغيرهم، واعتنقوا التجانية دون أن يستعمل سلاحا جارحا واحدا[42]. يقول أحد الباحثين عنه : " وممّا زاد في انتشار الطريقة بنيجيريا كثرة زيارة شيوخها الكبار من الخارج، ففي عام 1949 زار نيجيريا الحفيد الرابع للشيخ أحمد التجاني، السيد بن عمر التجاني، فنالت الطريقة من الانتشار والشّهرة ما لا يُتَصوّر . وقدْ لقي الزائر من الحفاوة البالغة لدى المسلمين عموما والتجانيين

---

[39] – ينظر : عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا، عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، رقم : 139، يوليو 1989، ص 64 .

[40] – كمال بوغديري، الطرق الصوفية في الجزائر الطريقة التجانية أنموذجا دراسة أنثروبولوجية بمنطقة بسكرة، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 02، ص258 .

[41] – صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر (تاريخها ونشاطها)، دار البصائر، الجزائر، ط2، 2009، ص11.

[42] – ينظر: عبد الرحمان طالب، الشيخ سيدي أحمد التجاني ومنهجياته في التفسير والفتوى والتربية، ص59 .

خصوصا"[43].

وقد تعدّى دورهم إلى القارات الأخرى كأمريكا وأوروبا وآسيا،من ذلك فقدْ فتح الدكتور حسن سيسي(ت2008) ببعض مدن أمريكا عدّة زوايا، وأسلم على يده الكثير من الأمريكيين . فالتّصوف المغربي عامة نظرا لأصالته والتزامه بثوابت الشريعة الإسلاميّة وانفتاحه على الواقع، أثبت كفاءته في الحفاظ على توازن المجتمع، وتحقيق أمنه الروحي وكذلك المادي، وحقّق نجاحات عدّة. ما دفع دُوَلا غربيّة إلى الاستعانة به في إصلاح مجتمعاتها، ودفع أخرى إلى التحذير من نجاحاته وخطر أسلمة أوروبا بواسطته، ودخل العديد منهم في الإسلام بسببه[44].

ومن الشيوخ الجزائريين الذين كان لهم دور في ذلك، مقدّم الطريقة التجانية الداعية محمد بن عبد المالك العلمي (1880ـ1934)الذي جاب الشّرق العربي في أوائل القرن العشرين وأنشأ مدارس قرآنية وزوايا في مصر والسودان وليبيا وسوريا وفلسطين والعراق والجزيرة العربية. وكان له علاقات مع مؤسّس حركة المجاهدين بفلسطين عزّ الدين القسّام الذي عرّفه بالطريقة التجانية، واعتنقها وأصبح مقدّما فيها بحيفا [45].

وأيضا ابن منطقة الوادي محمد بن أحمد بن فرج (ت1947م) الذي نشَرَ الطريقة في منطقة تطاوين والجنوب التونسي، وأصبح أحدَ خلفائها هناك . وأيضا الحبيب تجاني ابن مقدّم زاوية البياضة الذي رحل إلى بعض الدّول الإفريقية، واستقرّ به المقام في تشاد داعيا ومعلّما إلى أنْ توفي هناك سنة 1960.

وآخر حدَث هو أنّ أحدَ أبناء زاوية تماسين الذين يعيشون في السّودان منذ مدّة، أسّس في جويلية 2017 زاوية ومسجدا في مدينة فاشر منطقة دار فور في احتفال كبير حضَره الخليفة العام للطريقة التّجانية في جمْع غفير من المريدين بالسّودان ومصر وبعض الدول الإفريقية .

وهكذا فقدْ أخْلَصَ التّجانيون لله ولِدِينهم وأوطانهم، وآمنوا بأفْكارهم ومبادِئهم، وضحُّوا بكلّ ما يملكون، متطوّعين من أجْل نشْر الإسلام ومبادئ طريقتهم وخدْمة البشريّة عامّة، بعيدا عن كلّ الأغراض الدنيويّة والمصالح الآنية.

خامسا: دورها في تعزيز النّسيج الاجتماعي وتحقيق السلم:

بالإضافة إلى الأدوار؛ الدينيّة والعلميّة والفكريّة وغيرها، اهتمّت الطريقة التجانيّة بتنمية الجانب الرّوحي للفرد المسلم، والجانب الاجتماعي. فالفرد له قيمته في المجتمع، وقيمة هذا الأخير في الحفاظ على تماسكه ووحدته وتعاونه وتقارب أفراده . فهي تدعو أفراد المجتمع إلى التّسامح والعفو والاحترام وإصلاح ذات

---

[43] – موسى عبد السلام أبيكن، الطريقة التجانية ودورها في نشر الثقافة العربية الإسلامية في نيجيريا، ص 30 .

[44] – خالد التوازاني، التصوف المغربي نماذج من التفاعل الإيجابي، موقع: مركز الإمام الجنيد للدراسات(www.aljounaid.ma) نقلا عن: عزيز الإدريسي الكبيطي التّصوف الإسلامي في الغرب: الأثر الصوفي المغربي في بريطانيا، الزاوية الحبيبية الدرقاوية نموذجا .

[45] – ينظر: السعيد ديدي، دليل الحائر، صُوَر ومواقف من جهاد التجانيين في الجزائر، مطبعة الأوراس، الوادي، ط1، 2010، ص 16 .

البين، وإلى الأمن والسّلم وكلّ قيم التّعايش التي تجعل الفرد مطمئنّا في مجتمع آمنٍ متطوّرٍ... وتحذّر من العنف والظلم والتّخاصم، ومن كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الفتنة وتشتّت المجتمع ... وهذا إلى جانب إطعام الفقراء والمحتاجين، وإيواء عابري السّبيل وغيرها.

فقد أزالت الطريقة التجانيّة بين مريديها داخل المجتمع الواحد التّفاوتَ الاجتماعي والطّبقي والفكري وفوارق السنّ ؛ حيث تجمع الزاوية كلّ أطياف المجتمع وطبقاته؛ الفقير والغني، القويّ والضعيف، القائد والمقود، المتعلّم والأميّ . فتجدهم سواسية متساوين متعاونين متآزرين.يقول أحد الباحثين وقدْ حضَر حلقةَ ذكْر في إحدى الزّوايا التّجانيّة: " الملاحظ أنّ الإخوان أثناء حلقة الذكر، جميعهم يردّدون وكأنّهم رجل واحد. فالذِّكْر الجماعي قوّة وترابط ووحدة. فالحضْرة تساعد على الشّعور بالمساواة وبالتّكامل وتُنَمّي التّكافلَ الاجتماعي وتوطيدَ أواصر المحبّة والتّواد وتُوثّق الرّباط الرّوحي بين الجماعة بإيجاد روح من التّعاون والتّآلف والتّرابط بين الذّاكرين بغضّ النّظر عن أحوالهم الماديّة والاجتماعيّة والنفسيّة أو فوارق السّن والمكانة الاجتماعيّة "[46].

ومنْ جهة أخرى، فقدْ كان للطريقة التجانيّة دور كبير في ربْط العلاقات، وتوثيق الصّلات بين شعوب المغرب العربي من جهة، وبين شعوب قارة أفريقيا من جهة أخرى، وبين كافّة شعوب العالم من جهة ثالثة ؛ أفرادا ومجتمعاتٍ ودُولا . حيث بدأها شيخُها، لمّا تنقّل ـ كما سبق ـ في بداية حياته من عين ماضي إلى نواحي البيّض وتلمسان وفاس بالمغرب وتونس ومصر والحجاز وغيرها طالبًا المعرفة، محْتكًّا بالعلماء والرجال مستفيدا ومفيدا، ناقلا التّجارب وآخذا، متعرّفا على الطبائع والمناطق ... ليستقرّ أخيرا في فاس إلى أنْ وافته المنيّة، ودُفن هناك، فكان الشيخ جزائريَّ المولد، مغربيَّ المدفن، وكان الحلقةَ الأولى في هذا الربط، ليتوسّع شيئا فشيئا بين بقيّة الشعوب المغاربيّة الأخرى ؛ تونس وموريتانيا وليبيا والدّول الإفريقية بانتشار الطريقة التجانية فيها .

حيث كان الإسلام والشّيخ والتّربية الواحدة هي الرّابط الأساس بين هذه الشّعوب، وَثّقَتْه الرّحلاتُ التي كان يقوم بها العلماء وأبناءُ الزّاوية والمريدون إلى هذه البلدان للدّعوة ونشْر الطريقة وتعمير الأماكن البعيدة والمعزولة، حتى أنّ الكثير منْهم استقرّوا هناك وكوّنوا أُسَر وأبناء وأسّسّوا زوايا ومساجد في مختلف البلدان الإفريقية كالسّنغال والسّودان وموريتانيا ومالي والنيجر وغيرها . فكانت النتيجة أنْ توزّع أحفاد الشّيخ أحمد التجاني وأحفاد خليفته الحاج علي التماسيني وغيرهم بين هذه الدّول وتبادلوا التّعارفَ وروابطَ الدّم والمصاهرة، وقدْ ذكرنا بعض الشواهد عن ذلك في عنصر أسباب انتشار الطريقة .

فقدْ أزالت الطريقة التّجانية أيضا الاختلاف الجغرافي واللّغوي والعرقي واللّوني ؛ فهي في وسط هذا العالم الذي يموج بمشكلات كثيرة جغرافيّة وسياسيّة وفكريّة واجتماعيّة وغيرها، ويزخر بمختلف أعراقه ولغاته

[46] – كمال بوغديري، الطرق الصوفية في الجزائر الطريقة التجانية أنموذجا دراسة أنثروبولوجية بمنطقة بسكرة، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 02، ص 295 .

وألوانه واختلافاته الفكرية والسّياسيّة ...استطاعت ـ وسط هذا كلّه ـ أنْ تكون قطب الرّحى الذي يضمّ الجميع، ونقطة التقائهم وتوحيدهم . فعزّزت الصرّح المغاربي من جهة، ووطّدت امتداداته وعمْقه الإفريقي والأوروبي من جهة أخرى، بل عزّزت الصّرح العالمي، وقرّبت بين الأفراد والشّعوب والدّول، ووحّدت الأفكار والتربية رغم هذه الفوارق العميقة . ولعلّ أقرب مثال على ذلك أنّ الطريقة التّجانيّة جمعَت حوْلها مؤلّفات كثيرة بجنسيات مختلفة وبِلُغات متعدّدة ؛ الفرنسيّة والإنجليزيّة والأندونيسيّة وغيرها إلى جانب العربيّة [47]. فبِفَضْلها انْصهَر النّاس في بوتقة واحدة ؛ العربي والبربري والإفريقي والفرنسي والإيطالي والروسي والأوروبي عامّة والأندونيسي والماليزي الأسيوي والأمريكي، وتحت راية واحدة هي لا إله إلا الله محمد رسول الله، وتحت التّربية الواحدة . حيث استطاعت هذه الطريقة الصوفيّة بوسطيّتها وبمبادئها المعتدلة تذويبَ جميع هذه الفوارق.

ولعلّ هذا ما انتبه إليه ابن خلدون، حين رأى أنّ للتّصوّف دوْرا كبيرا في اجتماع العرب، وفي تسهيل انقيادهم، ومن ثمّ تغلّبهم،كونهم لا ينقادون إلّا بصبْغة دينيّة تكون؛ بِنُبوّة أو بِوِلاية، حيث يقول: " فإذا كان الدّين بالنّبوّة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم وذهب خُلق الكِبْر والمنافسة منْهم، فسَهُل انقيادُهم واجتماعُهم،وذلك بما يشْمَلهم من الدّين المُذهِب للغلظة والأنفَة الوازع عن التّحاسد والتّنافس . فإذا كان فيهم النّبيّ أو الوليّ الذي يبعثهم على القيام بأمر الله، ويُذهِب عنْهم مذْمومات الأخلاق ويأخُذُهم بمحْمودها، ويؤلّف كلمتَهم لإظهار الحقّ، تمّ اجتماعُهم وحصَل لهم التّغلّب والمُلْك "[48].

وللطريقة التّجانية أيضا دوْر في تماسك المجتمعات وفكّ الخصومات ونشْر القيم الفاضلة ؛ فقدْ ساهم التّجانيون في الإصلاح، وبثّ المحبّة والتّعايش والتّسامح والتزاور والاحترام وقضاء الحوائج ... فالمقدّمون والمريدون الذين هُم خلفاء شيْخهم المؤسّس وخُلفائه في مناطقهم مِنْ واجبهم أنْ يُبَلّغوا ما يدْعو إليه ويجسّدونه في الواقع . على هذا المبدأ العظيم ربّى الشّيخ التّجاني أصحابه وأتباعه، فكانوا رُسُلَ محبّة وسلام وإحسان[49]، فساهَمُوا في إخْماد نيران الفتن والقضاء على النّزاعات في أماكن مختلفة، وإرْساء الأمْن والسّلْم ... وهو كثير جدّا. من ذلك فقدْ صرّح الخليفة العامّ للطّريقة التّجانيّة أنّها أسْهمت في حلّ العديد من النّزاعات بالقارّة الإفريقيّة، منْها المشاركة بوفْد قادَهُ الخليفةُ العامّ في الحوار الوطني بالسّودان إلى جانب هيئة الأمُم المتّحدة في أزمة دارفور سنة 2009 . والمشاركة في الحفاظ على وحدة الشّعب المالي، وبعيدًا عن انتماءاته العرقيّة والدّينيّة منذ بداية أزْمته سنة 2011، ولا تزال إلى اليوم من خلال اتّصالات تجريها بصفة دوريّة مع أعيان الطّريقة وأتْباعها هناك . كما شاركت التّجانية في عدّة مبادرات لوضْع حدّ للخلافات بين دولتيْ مالي

[47] – ينظر: محمد الراضي كنون الحسني، الفهرس الشامل لمؤلفات الطريقة التجانية، دار الأمان، الرباط، المملكة المغربية، د ط، دت.
[48] – ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر، بيروت، د ط، 2004، ص 153.
[49] ينظر: الشيخ الدكتور محمد العيد التجاني، رجال الطريقة التجانية رسل محبّة وسلام وإحسان، محاضرات الملتقى الدولي للإخوان التجانيين أيام: 23، 24، 25 نوفمبر 2006، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الأغواط، الجزائر .

والسّودان، ولِعدَد من الخلافات بين القبائل في عدّة بلدان إفريقيّة . وهي مبادرات خالصة لله، لزرع الرّحمة وقيَم الاعتدال تطبيقا للدّين الإسلامي، وتجسيدا للمبادئ التي غرَسَها مؤسّس الطريقة سيدي أحمد التجاني[50].

ومن جهة أخرى بين الزاوية التجانيّة وتونس علاقة وطيدة ومُتجذّرة؛ حيث بدأت منذ عهد البايات وعهد شيخ الزيتونة إبراهيم الرّياحي الذي اعتنق الطريقة، ونشَرها في الشّمال التّونسي، والذي زار تماسين بتوقرت سنة 1822 وحظي باستقبال يليق بمكانته . كما كانت له مراسلات علميّة وأخويّة مع الشيخ الطاهر بن عبد الصادق القهاري . وقد كان ملوك الدّولة التّونسيّة يستقبلون خلفاء التجانية في طريقهم لأداء فريضة الحج في النّصف الثاني من القرن التاسع عشر، فيلتقون بعلماء تونس كمحمد النيفر والعلامة محمد بيرم وإبراهيم السوداني وغيرهم . كما كان الإمام التماسيني (ت 1844) وخلفاؤه يتبادلون الرّسائل مع علماء تونس وحكّامها [51]. وتتابعت البعثات من أبناء الزاوية ومريديها إلى الزيتونة بتونس. ولا تزال زاوية تماسين إلى اليوم مقْصدا للوُفود التّونسيّة في المناسبات المختلفة ؛ كالزيارة السّنويّة والاحتفال بالمولد النّبويّ والملتقيات العلميّة والأيام الدراسيّة، فضْلا عن المناسبات الاجتماعيّة كالجنائز والزّواج وغيرها .

وإلى يوْمنا هذا أيضا لا يزال المريدون من تونس والمغرب ودول إفريقيا يتبادلون الزيارات بين الزاويا التّجانية؛ بفاس بالمغرب، وعين ماضي بالأغواط، وتماسين بتوقرت وقمار بالوادي بالجزائر . ولا يخفى ما لهذه الزيارات من فوائد وأدوار في التّعارف وربط العلاقات وتمتينها ونقل التّجارب والمعارف واسْتفادة البعض من البعض... بين الشّعوب المغاربيّة والإفريقيّة، ولمّ شملها، وجمْع كلِمَتها، ونشْر السّلْم والأمْن فيها .

الخاتمة:

يمكن في الأخير أنْ نصل إلى النتائج الآتية:

● إنّ ميزة الغرب الإسلامي هي كثرة الأولياء وانتشار الطرق الصوفيّة .ومن هذه الطرق التجانية التي عاش صاحبها الشيخ أحمد التّجاني حوالي ثمانين سنة (1737 ـ 1815م) استطاع فيها أنْ يُؤسّس طريقتَه، ويُرسي قواعدها ومبادئ فكْره بِثَبات، فبدأ في وضْع لبناتها، واختيار رجالها، وإنْشاء زواياها ومراكزها، فكانت الانطلاقة من الجزائر وبدأت في الانتشار، ومن ثمّ ضَمِن اسْتِمْرارها منْ بعْده .

● اهتمّ الشّيخ التّجاني بالتّربيّة الرّوحيّة التي تجعل الفردَ متحلّيا بكل الصّفات الفاضلة، ومتخلّيا عن كلّ الصفات الدّنيئة متّصلا بربّه في كلّ أوقاته، متأدّبا معه، ومع خلْقِه . حيث دعا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والتّيسير والرّفق والتّرغيب والمحبّة، ونادى بقيَم الاعتدال والتّسامح والانفتاح والتّعايش والوحْدة والإصْلاح، وحَثّ على التّعمير والتّفاعل الإيجابي وخدْمة البلاد والعباد، وحذّر من العنْف والغلوّ والتّطرّف والفتن والصّراعات والأذى ...

---

[50] – ينظر: جريدة الشروق اليومي، عدد : 19 ماي 2014 .

[51] – ينظر : علي بن محمد غريسي، رسائل الإمام التماسيني وخلفائه في توطيد أواصر الأخوة والمحبة بين الشعبين الشقيقين الجزائري والتونسي، الزاوية التجانية، تماسين، سلسلة رسائل الشيخ الأكبر وخلفائه – رضي الله عنه –، العدد: 02، أوت 2007 .

● واصلَ خلفاءُ مؤسِّسِ الطريقة وتلاميذُه ومريدُوه في مختلف العصور على هذه المبادئ وهذه القيم، وساروا على المنهج نفْسِه بِتَضْحية وإخْلاص، وإحْساس بالمسْؤوليّة والواجب الدّيني، مع مواكبة العصْر الذي هم فيه، تماشيًا مع روحه،وتناسبا للدّعوة، وتطبيقا لمقولة الشّيْخ المؤسّس « بِسَيْرْ زَمَانِك سِرْ ».

● أسُاس الطريقة التّجانيّة هو العلم والرّجال الأكفاء المخلصون والوسطيّة، تحت مظلّة الكتاب والسنّة . وهي أسُس جعلت منْ معتنقيها علماء أعْلاما، انتشروا في كلّ الأماكن دُعاةً، مصْلحين، حامِلين رايةَ الإسلام، ومبادئ التّجانية، فرحّب الناسُ بهمْ، إلى أنْ بلغتْ العالميّة وانتشرت في كلّ القارات، وفي مُعظم البلدان، واعتنَقَتْها جنْسيات مختلفة، ولغاتٌ متعدّدة، وأعراق متباينة، دون قوّة أو إغراء بمال أو بمناصب أو غيرها. وأصْبحْت أكثر الطّرق الصّوفيّة انْتشارا، وأنشأ أصحابُها مراكز ومعاهد عالميّة ومدارس قرآنية وزوايا ومساجد كبيرة في كلّ البقاع، تقوم بأدوارها الدينيّة والعلميّة والفكريّة والاجتماعيّة وغيرها . وساهمتْ في الفكر الإنسانيّ والإسلاميّ مساهمة فعّالة، وأزالت كلّ أنواع التّفاوت في المجتمعات وكلّ أنواع الاختلافات التي ما كان لها أنْ تزول لوْلا التّصوّف، ولولا هذه الوسطيّة . وربَطَتْ العلاقات، ووثّقَتْ الصِّلات بين الأفراد والمجتمعات؛ في الدّوْلة الواحدة وبين كافّة شعوب الدّول في العالم .

ولعلّ أهمّ التوصيات التي يمكن الإشارة إليها هنا هي:

● ضرورة اهتمام علماء الشريعة عامّة والباحثين بالتصوّف؛ شرْحا وتوضيحا وتنْويها. فهناك إهمال واضح ونُكران تامّ لهذا الجانب، رغْم أنّه قسْم هامّ من الدّين؛ الإسلام، الإيمان، الإحسان. فالتّصوّف يمثّل الجانب الروحي والأخلاقي، وهو أسْمى ما في الدّين .

● إعادة النظر في التراث الصّوفي الضّخم الذي هو ميزة الغرب الإسلامي ومجتمعاتِه،وفي الفكْر الصّوفي الذي هو فكْر راقٍ،سامٍ، متُسامِح،حافظ على الوسطيّة ومرجعيّة الأمّة ووحْدَتها وتماسك مجتمعاتها.فنفتخر به وننْشُره، لا أنْ نُرَدِّدَ ما يزعم خصومُه، الذين ناصبوا له العداء بهدف القضاء عليه، لأغراض شخصيّة وأهداف آنيّة. وكانت نتائج هذا العداء أنْ انتشرَ التّطرّف والإرهاب الفكري والجسدي والبُعد عن جوهر الدّين .

● استغلال الدْولة الجزائريّة في ربْط علاقاتها مع الدّول التي لها مريدون تجانيون عبر العالم، وخاصّة الإفريقيّة منها، وفي السّياحة الدّينيّة وغيرها، كوْن الجزائر مسقط رأس مؤسّس الطريقة التّجانيّة، وفيها أوّل زاوية تجانيّة في العالم ...

● الاهْتمام بالبحْث في الشّخصيّات الجزائريّة الصّوفيّة والتّجانية وإبراز دوْرها في التّاريخ الجزائري وفي نشْر العلم والإسلام الصّحيح وفي الفكْر وبناء الحضارة الإنسانيّة .

● مواصلة البحْث والملتقيات والنّدوات في موضوع الوسطيّة والتّصوّف في الغرب الإسلامي ودورهما في نشْر الإسلام .